المحاضرة الثانية: مكانة الاتصال في العلوم الاجتماعية

يحتل الاتصال مكانة محورية في العلوم الاجتماعية، حيث يعد أحد الركائز الأساسية لفهم العلاقات البشرية والتفاعلات الاجتماعية. فمنذ نشأة المجتمعات، كان الاتصال الوسيلة الأساسية التي تربط الأفراد ببعضهم البعض وتنظم أنماط السلوك الجماعي، فهو ليس مجرد وسيلة لنقل المعلومات، بل هو عملية ديناميكية تساهم في تكوين البنية الاجتماعية، وتشكيل الهويات الثقافية، وتوجيه السلوك البشري في مختلف المجالات.مما جعله موضوعا جوهريا للدراسة في مجالات متعددة مثل اللسانيات، علم الاجتماع، علم النفس...

1- مكانة الاتصال في اللسانيات:

تعرف اللسانيات على أنها علم يدرس اللغة أو اللهجة دراسة موضوعية، غرضها الكشف عن خصائصها، وعن القوانين اللغوية التي تسير عليها ظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والاشتقاقية والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض، وتربطها بالظواهر النّفسيّة، وبالمجتمع والبيئة الجغرافية فتدرس اللغة بعيدا عن مؤثرات الزمن والتاريخ والعرق.ومن خصائص اللسانيات أنها تركز على اللغة المنطوقة أكثر من المكتوبة. (السراقبي،2019،ص 16)

ويعرف "جون ديبوا" في معجم اللسانيات التواصل على أنه تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج لفظا أو قولا موجها نحو متكلم آخر يرغب في السماع أو إجابة واضحة أو ضمنية، وذلك حسب نوع ملفوظه(معروف، 2018، ص57).

أي أن اللغة وسيلة اتصال بين البشر وأساس التفاهم بينهم، بل هي أبرز المظاهر الحضارية لدى البشرية، فهي البيان المعبر عما بالوجدان، والملكة الإنسانية التي تتميز عن منطق الحيوان، كما أنها "وسيلة من الوسائل الأساسية لحدوث عملية التواصل بين البشر، غير أن هذا المفهوم تغير بمرور الزمن واعتبره البعض تعريفا تقليديا يفسر التواصل الحادث بين البشر، ولا يشير إلى حقيقة هذا التواصل باعتبار أن اللغة هي وسيلة للتعبير عن الأفكار والعواطف والرغبات بل هي "التعبير عن الافكار بواسطة الأصوات الكلامية المؤلفة في كلمات"(القاسم،2021، ص41)

وعليه يمكننا القول أن الاتصال يحتل مكانة محورية في اللسانيات، حيث يشكل الأساس الذي تبنى عليه اللغة كوسيلة للتفاعل الإنساني. فيهتم اللسانيون بدراسة كيفية استخدام اللغة في الحياة اليومية وفي مختلف سياقات التواصل الاجتماعية والثقافية. فيساهم فهم اللغة من تحسين قدرة الافراد على التواصل الفعال فهي ليست مجرد أداة نقل للمعلومات بل تؤدي أفعالا اجتماعية ومن هنا تبرز العلاقة المتبادلة بين الاتصال واللسانيات ودورهما في تشكيل اللغة وفهم العلاقات الإنسانية.

2-مكانة الاتصال في تعليمية المواد:

تهدف تعليمية المواد العلمية إلى تمكين المتعلم من اكتساب مفاهيم علمية ووسائل اكتشافها، وإجراءات مناسبة تمكنه من القيام بدوره في المجتمع بثقة وفعالية في إطار الانتماء إلى محيط اجتماعي، يتطلب كفاءات عمل متزايدة باستمرار ضمن عالم علمي متزايد هو الآخر في شمولية ومتنام بصورة سريعة ومستمرة ".(علال،2023، ص80)

إن العملية الديداكتيكية تقوم نجاعتها على تحقق الرغبات و الحاجات؛ والمتأمل في ربط هذه العملية بمفهوم التواصل يصل إلى أن عملية التعلم لم تكن في الواقع عملية فردية خالصة تحدث في معزل عن أي تأثير من الغير، فهي نشاط قائم، في كثير من جوانبه، على التواصل مع الطرف الآخر، من خلال التفاعل على مستويات مختلفة(بورقدة، ص 165).

وعليه يمكننا القول أن للاتصال مكانة مهمة في تعليمية المواد، حيث يلعب دورا بارزا في نقل المعرفة وتسهيل عملية التعلم، فهو الوسيلة الأساسية التي يستخدمها المعلمون لتوصيل المفاهيم والمعلومات للطلاب. وبدون اتصال فعال يصبح من الصعب تحقيق أهداف التعلم، فمن خلاله يتمكن المعلم من خلق بيئة تعليمية تفاعلية تشجع الطلاب على المشاركة وطرح الأسئلة، مما يعزز من فهمهم للمواد. وملاحظة الصعوبات التي يواجهونها، وتعديل طريقة تقديم المادة لتتناسب مع مستويات فهمهم المختلفة، **كما** يوفر الاتصال قناة للتغذية الراجعة المستمرة بين المعلم والطلاب.

3-مكانة الاتصال في البيداغوجيا:

مصطلح البيداغوجيا (Pédagogie) مصطلح يوناني يتركب من كلمتين (Peda)وتعني الطفل و (Ogogie)وتعني القيادة والتوجيه. والمفهوم اللغوي لها في الفلسفات اليونانية القديمة كان يعني تربية

الطفل وتأديبه، ولقد عرف هذا المصطلح تغيرات دلالية إذ كان يدل على المربي (البيداغوجي) (Pédagogue) وهو الشخص المكلف بمرافقة الطفل إلى حلقات التعليم، وعليه لم يكن البيداغوجي معلما بل مربيا؛ لأن التربية قديما كانت تمارس خارج حجرة التدريس بينما التعليم يتم بداخلها.(فاتحي ولطروش، 2019،ص162)

ومن ثم أصبحت البيداغوجيا تعرف على أنها علم يهتم بدراسة الطرائق والتقنيات والخطوات التي تميز تعلم مادة معينة: بيداغوجية القراءة، الحساب، العلوم الطبيعية....الخ، أو نشاط أساسي يجب تحفيزه عند التعلم بيداغوجية الاكتشاف، أو دخولا محددا في الممارسة التربوية بيداغوجيا الأهداف، فمن ناحية هي علم وفن التدريس، ومن ناحية أخرى طريقة التدريس، وتستعمل في معناها الضيق لتحديد التقنيات البيداغوجية، ويمكن تصنيفها :

- بيداغوجيا عامة: كل ما يدخل ضمن العلاقة بين المعلم والمتعلم.
- بيداغوجيا خاصة: تتضمن طريقة التعلم حسب المادة المدرسة .(يحياوي وطويل،2016، ص95)

إن العملية التعليمية في الأساس عملية اتصالية ركيزتها العقد البيداغوجي المباشر الذي يضم كافة أشكال التفاعلات ضمن العلاقة أستاذ طالب في إطار النسق التربوي الذي يجمعهما ما يعني أن كلا من الأستاذ والطالب يشكلان طرفين للعملية الاتصالية المباشرة والهادفة التي تتم في إطار المؤسسة التعليمية.(مزيان وعمرون، 2022،ص987)

وعليه فالبيداغوجيا ترتبط بالتواصل البيداغوجي ارتباطا وثيقا حيث تتم العملية التعليمية التعلمية من خلال التواصل، هذه العملية تتأسس في عمومها على ركائز ومكونات ضرورية تتجسد في المدرس والمتمدرس والمنهاج التعليمي، وبحكم أن التواصل عملية دينامية فإن المدرس والمتمدرس يتناوبان على أداء دوري المرسل والمستقبل وذلك بشكل تفاعلي، وهكذا يكون التواصل البيداغوجي بمثابة الميكانيزم الذي يتم عبره التفاعل بين المدرس والمتمدرسين بغية الوصول إلى أهداف تحدد قبلا.(المصطفى، 2022،ص147)

4-علم الاجتماع:

من بين فروع علم الاجتماع نجد علم اجتماع الاتصال وهو علم يركز على دراسة الظواهر الاتصالية كظواهر اجتماعية، حيث يعتبر الاتصال صيغة من صيغ التفاعل الاجتماعي بين المرسل والمستقبل كما

أن علم الاجتماع يدرس نماذج العملية الاجتماعية كالتعاون والصراع، التنافس التميز التثقيف التوافق والتي تتم جميعها عبر الفعل الاتصالي وهي تظم كافة عناصر العملية الاتصالية.

كل هذه العمليات تتم بمساعدة الاتصال ووسائله. لذلك، يعد الاتصال أساسيا لفهم سير المجتمع وسيرورة التفاعل بين أفراده بشكل عام، الاتصال هو محرك رئيسي للتغير الاجتماعي، وهو أساس العمليات الاجتماعية مثل التنمية.(خالدي،2022،ص ص375،376)

2-5-علم النفس:

علم النفس والاتصال بينهما علاقة وثيقة، حيث يعتمد كل منهما على الآخر في العديد من الجوانب. إليك أبرز النقاط التي توضح هذه العلاقة:

- التواصل كعملية نفسية :الاتصال ليس مجرد نقل معلومات، بل هو عملية نفسية تتأثر بالعواطف والمعتقدات والتصورات الفردية. علم النفس يدرس كيفية تأثير هذه العوامل النفسية على الرسائل التي نتلقاها ونرسلها.

- فهم الدوافع والتوقعات :علم النفس يساعد على فهم دوافع الأفراد واحتياجاتهم وتوقعاتهم، مما يساهم في تحسين عملية الاتصال وجعلها أكثر فعالية. فعلى سبيل المثال، معرفة احتياجات الآخرين تساعد على توجيه الرسالة بشكل يناسبهم.

- التفاعل الاجتماعي :الاتصال هو أحد الأسس الرئيسية للتفاعل الاجتماعي، وعلم النفس الاجتماعي يدرس كيف يؤثر التواصل على العلاقات الاجتماعية وكيفية تحسين التواصل بين الأفراد.

- الاتصال العلاجي :في مجالات العلاج النفسي، الاتصال هو أداة رئيسية بين المعالج والمريض. القدرة على الاستماع الفعال والتعبير عن الأفكار والمشاعر بطريقة صحية يمكن أن تكون جزءًا من عملية الشفاء.

- تأثيرات الاتصال على الصحة النفسية :نوعية الاتصال، سواء كان إيجابياً أم سلبياً، تؤثر على الصحة النفسية. التواصل السلبي قد يزيد من التوتر والقلق، في حين أن التواصل الإيجابي يساهم في تعزيز الرفاهية النفسية.

- التأثير الإعلامي والنفسي :علم النفس الإعلامي يدرس تأثير وسائل الإعلام على تفكير وسلوك الأفراد. فوسائل الاتصال مثل التلفزيون والإنترنت تؤثر على الأفكار والمشاعر، وهو ما يدرسه علماء النفس لفهم هذا التأثير وتوجيهه.بالتالي، علم النفس يعمق فهمنا لعملية الاتصال ويساعد على تطوير مهارات اتصال أكثر فاعلية سواء على المستوى الشخصي أو الجماعي.